كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

- ٦ -

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم [١] ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاه المزاج . وأعني بقولي « الأول » [٢] كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار [٣] <حينما> لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف <الأوّل> من الاستكمال أبداً هو كالهيولى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرجه إلى الفعل وهو المحرّك ، لأن كل متحرك فله محرّك ، غير أن المحرّك [٤] في هذه يخفى والمحرّك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في المرآة الصقيلة . (ورقة ١٥٥ ب) فإن الصقالة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرئيّ ارتسمت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب كالذي يعرض في الحديد وهو حديد [٥] أنه استكمال أول . والاستكمال

---

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ الف : والنفس هي الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولا من حيث صورته وثانيا من حيث المادة ، انظر De An II, 2, 414 a 9 — 13 : والتعليق ٣٨ ، الفصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير مرءاة بعد الصقل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعدًّا لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرءاة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .

فقوة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت صارت بصراً وهذا هو اسمها من حيث هي [١] بالكمال الأخير . وكذلك سايرها . فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين ذو نفس [٢] وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل [٣] «أول» وهي الخاصة بحاسة حاسة ـ ومنها مشتركة ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا يدركه إلا البصر . ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأيّ صورة كان ، فان الجسم يحد بغايته ، ولذلك لا يكون الصنم إنسانا ، ولا ما انحدّ من السمع سكينا اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم [٤] . ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحيّ وعين الميت باشتراك لا بتواطؤ .

فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

---

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦ ب (رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢ .) وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه ينخلق اولا فاذا كمل تخلقه اغتذى ونمى (= نما) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . قارن ارسطو : Arist. : Meteo IV. 12. 390 a 10; De An. ii.I. 412 b 12 — 21; 8. 420 b 1; De Gen. Anim. ii. I. 735 a 8

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الرطوبة الجليدية [١] . وذلك بيّن من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه [٢] . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلاّ مع الضوء [٣] ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما ان اللون في الظلام فذلك بيّن عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حائلةً بينه وبين الشمس ؛ فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحسّ والمحسوس [٤] ، فالواجب أن نتقدم [٥] فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : ان القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (مايروف ، Mayerhof ، المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : واما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية .) اما ابن سينا فانه يقول ان هذه القوة هي في العصبة المجوّفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) . ولقد صرح حنين ان قوة البصر تنبعث من الدماغ في العصبة المجوفة ، المقالات العشر في العين المنسوب لحنين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن ارسطو : Arist. ; De An. : *II.* 7. 419 a 13; *II.* 423 b 20

(٣) ما قال ارسطو قط ان الهواء تخدم البصر ، ولكنّه بيّن ان الماء والهواء شفافان يحتويان على جوهر مضيء كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع De An. : *II.* 7. 418 b 1 — 12

(٤) يصف ارسطو ان انواعا من الالوان تعرض لمن يرى الشمس مغطاة بالضباب او الدخان ، فترى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع Arist. : De Sensu : 3. 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : بحب ان نتقدم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمضيء هو مفيد للضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء ـ والضوء هو كمال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .

والمضيء يقال على نحوين [١] : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير [٢] هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما يعرض في القمر وفي الأجسام الصقيلة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث <لا> يقدر أن يجعل غيره مرئياً [٣] فهذه [٤] أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الحباحب ، وهذه ليست ألوانا [٥] ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

(١) والظاهر ان ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « ان المضيء على نحوين : تقديم وتأخير » . أما ارسطو فانه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و ـ ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « ان الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، او شيء شبيه بالأجسام العلوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام العلوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الاهلي » ، وفي شرح القديس توماس الاكويني « بالاجسام العلوية » . وقد صرح ابن باجة هـذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع ارسطو : De An. ii. 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : تاخر .

(٣) المخطوطة : قريبا . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جدا في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر اباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 1—5 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر اباد ص ٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالضوء إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقاً . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك يعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا فيها ان ذلك يكون بتوسط في الغلظ والرقة . وذلك بين فيما قيل [١] في النيازك وأذناب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان [٢] أن صورة النار مرئية [٣] حين وعدنا بالفحص عنها ـ فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور .

والمقبول يلحقه دائماً لواحقُ في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » [٤] ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليمية [٥] ، وأعطيت أسبابها .

---

(١) وذكر أرسطو اسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذنّب والمجرة في كتاب الآثار العلوية : Meteo. i, 5—6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. iii II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قريبه .

(٤) وتمامه « ذاك الوزير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول » والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكُتّاب لأبي عبد الله محمد بن عبدروس الجهشياري تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، ١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) لعله تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فُقد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وظاهر بيّن أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أوّلاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .

ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحرّ والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان [١] في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتياسر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغيراً (ورقة ١٥٧ ب) بل تابعاً لتغير [٢] . ويوجد في الآن [٣] ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك تجد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منهما أو في أحدهما أمرا [٤] يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم [٥] ، فإن وضع آمن آجب كوضعه من آحد ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة بيّن معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون فلنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « منتهى الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « ففي الآن الذي هو منتهى الحركة » . ولكنّه ايضا صرّح بمعنى آخر فقال : ورقة ٢٩ ب ، « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة او نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال ارسطو من أن اوضاع الحيوان واوصاف حركته ليست بعادية ، راجع : Phys Viii 4 254 b 23

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جزء أخذ من آب كان وضع آمنه ضرورة[١] ذلك الوضع بعينه .

والمضيء من المستضيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع بالاطلاق ببسائطها المطيفة بها الخارجة . فلذلك تكون ذوات وضع بهذه البسائط .

والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من الإضافة كالتوليد فإن المولِّد لا يكون مولَّداً للمولَّد له . وقد يكون بينها شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينها شخصان قد يكون نوع الاضافة التي[٢] بينها فصلها[٣] من كليها كتيامن حيوان من حيوان . فإن ح آ اذا كان متيامناً عن ب آ كان ب آ متياسرا[٤] عن ح آ[٥] . لأن لكليها اليمين واليسار . وأما ما ليس بحيوان فليس[٦] كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بمتياسر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا يسار إلا بالإقتياس .

والمضيء له إلى المستضيء وضعٌ مضافٌ ولذلك اذا حضر وجب أن يكون ذلك له ، وقبوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمنير ما له مثل هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأن الاضافة طبيعة عامة لما هو جسم ولما < هو > ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام الجسم بذاتها .

---

(١) المخطوطة : ضرورة .
(٢) المخطوطة : الذي .
(٣) المخطوطة : فصلها .
(٤) المخطوطة : متياسر .
(٥) المخطوطة : دآ .
(٦) المخطوطة : وليس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما كانت الإنارة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك للأجسام ، فإن لكل جزء من المنير عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأيّ قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورةً ما يجاوره . وقد لخّص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء [١] . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان — إن قيل لذلك زمان — وتفاصل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نيّرين ولا يبين أثره اذا تخالفا في الوضع . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منهما على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولمّا كان اللون إنما هو على ما تبين في الحسّ والمحسوس [٢] باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة رسمت هنالك كان اللون أيضاً مضيئاً بوجه ومحركاً للهواء [٣] . فاللون محرّك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرّك لذلك اللون .

فأما كيف قيل إن اللون يحرك المشفّ بالفعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة . فتحريكه

---

(١) لعل ابن باجة يشير الى كتاب صنفه في انعكاس الضوء ، وقد فُقد .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1—18; 439 b II; De An. ii. 7. 419 a 14

(٣) المخطوطة : للهوى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اياه إضاءة وإشفاق . وهنالك استبان خطأ من رأى [١] أن الإبصار كان بالخلاء [٢] ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الابصار جملةً .

وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء [٣] ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل [٤] .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون او قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .

ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتعدّ فيما بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما [٥] ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا [٦] فليس للبصر لا قريباً ولا بعيدا .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المرايا [٧] ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

---

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : يلون بالخلاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون الخ (ورقة ١٥٥ ب) .

(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر بالذات واما الخ .

(٦) المخطوطة : عندما .

(٧) المرايا جمع المرءاة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية [١] ، لأن الجزء الظاهر عند آ ليس هو بعينه الذي ظهر عند بَ . فيكون ذلك حركة . وانما ذلك كظل المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فانّ الظل لا حركة له .

والحسّ لما كان هيولى تقبل معنى المحسوس على ما قيل [٢] لذلك ارتسم في الحسّ ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المرآة فليست تقبل المعنى لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى [٣] .

* * *

الفصل الخامس

(ورقة ١٥٧ ب) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها [٤] ادراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموعا وإحساسها هو سمع . وذلك ان كل الأجسام المحدثة للصوت إما صلبة وإما رطبة . فان كانت صلبة فاذا قرعها [٥] قارع حدث عنها [٦]

---

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : فهيولى الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة ورقة ١٥٤ الف ، أخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مضيء » ، لعله من زيادة ابن الامام او الكاتب .

(٤) الصوت ، كما بيّنه أرسطو ، بالفعل وبالقوة . والأول يحدث من التصادم ، فلا بد له من جسم قارع وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5—13 .

(٥) المخطوطة : قرعه .

(٦) المخطوطة : عنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صوت . وأما إن كان رطباً[١] فانه لا يحدث عنه صوت إلاّ بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع[٢] من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبو عنها ، وتندفع منه إلى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل[٣] عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزّة .

وبينّ أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجده متى حركنا البمّ في تسوية المطلق تحرّك < ما > على المثنى فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتزّ المثلث لم يهتزّ الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك يعرض في المتساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي[٤] .

والمحسوس الأول هو ذلك الأثر[٥] الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحسّ دون تحرّك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحرّكه في الأثر[٦] ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدّين[٧] تغيرٌ ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

---

(١) اللفظ المقابل للرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنّه بيّن « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالضرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحـــاس والأجسام المجوفة والمنساه تحدث » ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 14—15

(٢) انظر ارسطو : De An. 8. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ، ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة : ويقبل .

(٤) (متساوياً) خبر ليس . (لجنة المجلة)

(٥) راجع أرسطو : De An. 8. 419 b 18—20 .

(٦) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر فيه .

(٧) المخطوطة : للضدان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع [١] ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوّتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فان النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواء ان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممتزجة ، إما ملائمةً وإما منافرةً . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصيّر به [٢] الملذّة منافرةً والمنافرة ملائمةً . وهذا هو <في> عود أنينها [٣] النغم . وقد فصّل ذلك كله في مواضع أخر .

ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان [٤] محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيهما ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تُلخص ذلك قبل [٥] . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٥٨ الف) يظن بها أنها واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف صلد أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحداً [٦] بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً يقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبذون على تخيل رعود ، والمحاكون على اسماع أصوات أجسام مختلفة فنظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولأيّ قوة هو .

---

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .
(٢) المخطوطة : بصره .
(٣) الصواب (انينه النغم) . (لجنة المجلة)
(٤) المخطوطة : المتقارعين .
(٥) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع للبصر غلط .
(٦) المخطوطة : واحد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأجسام منها مصوّتة ومنها غير مصوّتة . فالمصوّتة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس [١] ومن ذوات الانفس ما له ربة [٢] ، وهو ما يتنفس [٣] .

فأما الحيوان المعروف بالصرّار وصرّار الليل فليس مصوّتاً [٤] على هذه الجهة ، بل هو مصوّت [٥] بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروق جوفه [٦] فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يُحدث صوتاً لو بقرعه قارع . هذا وجود الصوت .

ولما كان الحسّ يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كان الصوت وسائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ [٧] لم يكن في قوام الصوت .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .
(٢) المخطوطة : رئته .
(٣) المخطوطة : ما تنفس .
(٤) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً قائلاً : « الصوت الذي هو للسمك وما أشبهه انما يُحدثه بخيشومه أو بعضو آخر له : De An ii. 8. 420 b 11. يظهر أن ابن باجّة خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فان الهواء يخرج من بين خروق جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ، فاخراج الهواء يحتاج الى الاستنشاق أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 : Hist. An. IV. 9. 535 a 27—536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان المصوّت ، صرّار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٨ .
(٥) المخطوطة : هي مصوتة .
(٦) المخطوطة : جوفها .
(٧) المخطوطة : إذا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net